

معروف الرصافي ومواقفه الوطنية في العراق

د. طارق زيدان خلف

جامعة تكريت/ مركز صلاح الدين الايوبي للدراسات التاريخية والحضارة

المقدمة

ان انحلال الامبراطورية العثمانية ولد ظواهر مختلفة في الحياة العربية والعراقية منها اتساع التغلغل الاوربي في الوطن العربي الا ان محاولات الانبعاث الداخلي للوطنين والشعب العربي بأسره مما أدى الى زيادة في التمرد المنظم بغد ان اتضح للعرب من ان العثمانيين فشلوا في مهمة الدفاع عن الوطن والاسلام أمام الغزاة الاجانب وان الحكام الجدد يختلفون دينياً وثقافياً عن العرب الا ان الطابع الامبريالي للغزاة الجدد كان احد وجهي العملة، ان الوجه الآخر نكائه يتجسد في ثقافتهم وحضارتهم المتقدمة وان الاسلحة الفكرية العربية كانت عاجزة عن تحدي للثقافة الجديدة وقد أثار هذا التحدي بين نخبة من العرب محاولة الاعداء في النظر لتراثهم الفكري من أجل تحديد استشرافيهم الفكري وقد وجدوا في جذورهم الثقافية والتاريخية وكيانهم المهدهد مصدراً للمفاخر والمجابهة المستميتة واليائسة احياناً للغرب المتقدم ولهذه العوامل وعوامل أخرى لتخلق لنا حركة انبعاث فكري عربي جديد، تمثل في تأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية والسياسية والثورات منها الثورة الهاشمية في الحجاز عام 1916م والثورة العراقية 1920م.

وقد بلغت الحركة الفكرية العراقية عهداً جديداً من النضج والاصالة بظهور معروف الرصافي وآخرين. فدعى الرصافي المسلمين والمسيحيين الى الاتحاد وتحقيق المجد للوطن وهو القائل: (ما ضر لو كان التعاون بيننا فتعمر بلدان وتأمّن قطان وقولاً لمن لا يعرفنا أننا على كل حال في المواطن اخوان).

المبحث الأول

السيرة الذاتية

معروف الرصافي: ولد الشاعر والأديب معروف بن عبد الغني بن محمود الرصافي من قبيلة الجبارة⁽¹⁾ عام 1875م في بغداد⁽²⁾.

خدم والده عريفاً في الجيش أيام الدولة العثمانية، واشترك في الحرب الروسية عام 1877م⁽³⁾. أهتمت والدته فاطمة بنت جاسم القراغولي⁽⁴⁾ بتربيته لانشغال والده بكثرة الاسفار خارج بغداد لانخراطه بالجيش العثماني⁽²⁾.

(1) الجبارة: وتسمى قبيلة جباري، هم سادة كرد، رئيسهم سيد محمد، وهم من العشائر المعروفة... ولهم المكانة في اللواء. ولا يختلفون عن سائر القبائل ومعروف الرصافي الشاعر أصله من هذه القبيلة. عباس العزاوي، عشائر العراق، مج1، ج1، مكتبة الحضارات، بيروت- لبنان، بلا، ص311.

(2) مير بصري، اعلام النهضة الفكرية في العراق الحديث، سلسلة الكتب الحديثة 38، وزارة الاعلام العراقية، مديرية الثقافة العامة، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بلا.

(3) الحرب الروسية- العثمانية: اتخذت روسيا من فشل مؤتمر القسطنطينية ذريعة لاعلان الحرب على الدولة العثمانية يعتقد ان الدولة الاوربية تعمل بمعاهدة باريس لعام 1856م، فتساعدته، فلما نشبت الحرب تبين ان لا نصير له، وقد انضمت الى روسيا في اعلان الحرب ضد العثمانيين لكل من رومانيا والجبل الاسود تمكنت الجيوش الروسية من استثمار خط الفولكا- الاورال في اختلال ادرته في 16 كانون الثاني 1878م. ارسلت الحكومة البريطانية مذكرة الى روسيا تحذرها من احتلال الدولة العثمانية او المضايق او قناة السويس او مصر، ثم التوقيع على معاهدة سان سنيفانو في 3 آذار 1878م دون الرجوع الى الدول الاوربية في شيء على الاطلاق. د. عبد الله حميد العتايي، سياسة الباب المفتوح، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، 2009م، ص76.

وذكر عن نشأته الأولى (ولدت وعشت فقيراً، اشعر بضنك العيش، فيصادف طعامنا غير الخبز والخيار)⁽³⁾.
تأثر بوالدته كثيراً بسبب حرصها الشديد على ان تراه متعلماً، ويقول في ذلك (كانت والدتي دائماً تحب ان تراني
أذهب الى المدرسة ولا أعلم السبب لهذا الدافع مع ان البيئة التي كنا نعيش فيها لم تكن توحى ذلك لأنها كانت بيئة فقراء
واصحاب صناع)⁽⁴⁾.

ان هذا الاهتمام من والدته ترك أثر عميق في نفسه فكأن يكن لها كل الحب، ويغمر لها الاحترام ولا يذكرها الا
بالاكبار والاحلال. وعند سفرته الأولى الى الاستانة نظم قصيدة بحق والدته قال فيها:

ونكرت من تبكي هناك علي بالدمع الغزير تستوقف العجلان ثمة بالرنين عن المسير

درس الرصافي في الكتاتيب، وقضى ثلاث سنوات في المدرسة الابتدائية العسكرية (المدرسة الرشدية)⁽⁵⁾. ثم
تركها وانتسب الى المدارس الدينية ودرس في بادئ الأمر على يد الشيخ عبد الوهاب النائب⁽⁶⁾، وقاسم القيسي⁽⁷⁾، وعباس

(1) القراغول: قبيلة في الدليم يسكنون الكرمة في (جدول علي السليمان). رئيسهم صالح العناد ونخوتهم (باش) وهم نحو
70 بيتاً. يساكنهم (البوجاري) من طيء.

والقراغول في انحاء المحمودية عشيرة قائمة ونخوتها (باش) عين تلك النخوة. وتسكن في أراضي الجنبلاطية، وام الجير
في صدر اللطيفية، وصدر المحمودية رئيسها طلال الصالح، وهذه العشيرة كبيرة. واتخذها (البرغيث) اليوكنامش، البود
عزة الكردايون، أبو سهيل (السيد كاظم)، عباس العزاوي، عشائر العراق، ص 77-78.

(2) مجلة آفاق عربية، العدد 12 لسنة 1988، ص 25. نص الحوار الذي أجره كامل الجاروجي مع معروف الرصافي عام
1944م.

(3) معروف الرصافي، الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع منشورات دار الجمل، ط1، بغداد 2007، ص 219.

(4) المصدر السابق، ص 220.

(5) المدرسة الرشيدية: تم تأسيسها عام 1870م، مدرسة عسكرية تعد ضباط عراقيين لتولي الجيش وموظفين مدنيين لتول
الوظائف الادارية المختلفة ومدة الدراسة فيها أربع سنوات وكان منظمو درسها من الاتراك. وان المواد التي تدرس فيها
التاريخ والجغرافية والانشاء والدين والاحساب والخط وتدریس اللغة التركية.

(6) عبد الوهاب النائب (1852-1927). عالم، مصنف، مبرز في العلوم الاسلامية، ولد في بغداد ومات ودفن فيها. واخذ
العلم على كبار مدينته، وتولى وهو لم يزل شاباً، تدريس الحديث والتفسير والفقہ والأصول والأدب، وعين مدرساً في
مدرسة منورة خاتون في بغداد، فقصده الطلبة من كل صوب، وتولى منصب الحكم الشرعي وصار عضواً في مجلس
ولاية بغداد، كما تولى تدريس التفسير في جامعة آل البيت ببغداد سنة 1924. أنشأ ثلاث مدارس في بغداد من ماله
الخاص وكانت تجمع بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة. عرف بطريقته المؤثرة في الوعظ فكان يعظ في جوامع بغداد
وخاصة في جامع مرجان، وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني. ومن مؤلفاته، المعارف في كشف ما غمض من
المواقف، حاشية على الدرر، الالهام في تعارض علم الكلام. شرح لملة الاعراب في النحو، حاشية على جمع الجوامع
في الأصول، رسالة في جواز سماع الاموات. موسوعة اعلام العرب، الجزء الأول، ط1 سنة 2000، بيت الحكمة،
ص 351-352.

(7) قاسم القيسي: عالم مجاهد اديب، مؤرخ، مفسر كتب في أكثر علوم المعرفة الاسلامية ولد ببغداد، وتعلم في كتاب
محلته مبادئ الخط والحساب ومبادئ القراءة. ثم تحول الى مدرسة أهلية لدراسة كتاب الله - تعالى - فتعلم الكتابة وختم
الكتاب المجيد، واخذ الفقه وأصوله والنحو عن الشيخ عبد الوهاب النائب.. وبعد هذه المرحلة انتقل الى دراسة الحكمة
وأصول الكلام. وعين مدرساً، ثم قاضياً ثم عضواً في مجلس المعارف ثم الى المجلس العلمي في دائرة الاوقاف وعين
عضواً في مجلس التمييز الشرعي. ثم قام بتدريس مادة التفسير في كلية الشريعة في الاعظمية. وبعد وفاة مفتي بغداد

حلمي القصاب⁽¹⁾، ثم انتسب الى حلقة درس محمود شاكر الالوسي⁽²⁾، ولازمه اثنتي عشرة سنة وبدأ ينظم الشعر على الطريقة القديمة وكان أكثر شعره مدح استاذه محمود شكري الالوسي الذي شجعه كثيراً على الحفظ وكتابة الشعر، فدرس عنده علم (الحال) وهو كتاب ديني، كما درس عليه كتاب (قطر الندى) لابن هشام وفي ذلك يقول الرصافي (لم اتعلم مبادئ العربية الا عن طريق هذا الكتاب وانني أرى الآن هذا الكتاب هو أحسن كتاب يبدأ به لتعليم النحو)⁽³⁾. وكان يأمرني الالوسي بالحفظ ويعتني بتفهيمي ويكرر الدرس أكثر من مرة لكي افهمه، كما درست (شرح الفاكهي) وألفية ابن مالك ودرست كتاب (مغني اللبيب) على الشيخ عباس القصاب في جامع الشيخ صندل⁽⁴⁾، وكنت أدرس في نفس الوقت كتاب السيوطي عند الشيخ الالوسي. وكنت أأزم ديوانين أثنتين: المتنبي والمعري، واقصد للزوميات من المعري، وكنت أقرأ بعض كتب الأدب ومنها العقد الفريد.

ولقد لقبه استاذ الالوسي بالرصافي تشبيهاً له بمعروف الكرخي، وبعد اكماله للدراسة عين معلماً لأول مرة في مدرسة الراشدية وهي قرية تقع شمالي بغداد وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها. ثم انتقل الى مدرسة جامع علي أفندي. وبعدها انتقل الى مدرسة الاعدادية الملكية فعين معلماً للغة العربية أيام نامق باشا الصغير (1899-1902)، وظل فيها الى اعلان الدستور سنة 1908م⁽⁵⁾.

الشيخ يوسف عطا سنة 1951، عين مكانه وبقي في منصبه حتى وفاته في 27 محرم 1375هـ، ودفن في التربة القادرية (مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني). ومن مؤلفاته تحفة الادباء في الخط والاملاء، تاريخ التفسير (بغداد- المجمع العلمي 1966)، رسالة في مصطلح الحديث 1938، الحديقة الندية في المواضيع التفسيرية 1940، والنزهة البهية في شرح الاربعين النووية (1372هـ). موسوعة اعلام العرب، مصدر سابق، ص 413.

(1) الشيخ عباس القصاب: هو ابو الفضل جلال الدين عباس حلمي بن عبد اللطيف الراوي المولود في بغداد وتحديداً في منطقة سوق حمادة سنة (1276هـ) عرف عن الشيخ عباس حلمي القصاب كونه كان فقيهاً كبيراً ومجتهداً بارعاً، ومحدثاً في علم الكلام عين كمدرساً في مسجد خضر الياس في بغداد لينتقل بعدها يدرس العلوم الدينية والشرعية في مدرسة الشيخ (صندل) ثم نقل الى مدرسة سامراء، وبعد فترة وجيزة من الزمن اصبح مفتياً لمدينة سامراء، وقد درس الشيخ محمد الزهاوي مختلف العلوم الشرعية والفقهية وقد توفي الشيخ في العاشر من شوال عام (1335هـ-1967م). محمد صالح السهروردي: لب الالباب، بغداد 1933م، ص 236-267.

(2) محمود شكر الالوسي (1857-1924)، عالم بالفقه واللغة، كان من رواد النهضة الفكرية في العراق عاش وعمل من أجل العرب والعربية. حجب الى طلابه روح البحث، وهو محمود شكري بن عبد الله بن محمود شهاب أبي التناء الالوسي. الإمام المفسر مفتي بغداد (توفي 1270هـ). درس على علماء بغداد، يعد صاحب مدرسة ثقافية، أعتمدت اللغة سبيلاً الى خدمة الأمة والوطن. كذلك عني عناية فائقة بتاريخ العرب، وتاريخ بغداد، وله مؤلفات منها بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب الذي نال به أول جائزة عالمية في الأدب، نيل المراد في اخبار بغداد، تاريخ مساجد بغداد. توفي الالوسي ببغداد، ودفن في مقبرة الجنيد البغدادي (مقابر الشونيزية). موسوعة اعلام العرب، المصدر السابق، ص 535-536.

(3) معروف الرصافي: الرسالة العراقية، مصدر سابق، ص 225.

(4) جامع الشيخ صندل: هو من الجوامع القديمة العهد على الجادة التي تؤدي الى جامع الشيخ معروف الكرخي ومقبرته، تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة وفيه مدرس وأمام وخطيب وواعظ وجملة من الخدم وهو رحب الساحة واسع المصلى مفروش بأحسن الفرش، وقد أمر السلطان عبد الحميد بتمديد عمارته بعد ان أشرف على الخراب ذلك سنة 1309، وكمل كل ذلك في سنة 1311هـ.

(5) مير بصري، اعلام اليقظة الفكرية، مصدر سابق، ص 60-61.

أما شعره:

نظم ونشر شعره في المجالات المصرية كالقوس والمؤيد، فضلاً عن رئاسته لتحرير القسم العربي في صحيفة بغداد لصاحبها مراد سليمان في عام 1908م. ثم سافر الى تركيا ليحرر جريدة عربية اسمها الاقدام عام 1909م وعين مدرساً للغة العربية في المدرسة الملكية في اسطنبول ومحرر لجريدة (سبيل الرشاد) لصاحبها عبد الله النائب ثم درس في مدرسة الوعاظ وبعدها عاد الى بغداد. وانتخب نائباً عن لواء العمارة في مجلس المبعوثين العثماني لعام 1912 ثم اعيد انتخابه نائب عن (المنتفق) في عام 1914م وشاركهم حياتهم الاجتماعية والادبية⁽¹⁾.

وبعد ان وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها سافر الى دمشق عام 1919 ثم دعي للتدريس للغة العربية في مدينة القدس في فلسطين عام 1920م.

وفي عام 1921 عاد الى بغداد فعين نائب رئيس لجنة الترجمة والتأليف في وزارة المعارف. ورئيس تحريرمجلة دار المعلمين الشهرية التي صدرت عام 1921. وسافر ثانية الى تركيا عام 1922 ثم عاد الى بغداد 1923. واصدر جريدة (الامل) اليومية واختير عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق 1923، وعين مفتشاً للغة العربية بوزارة المعارف 1924، وعضو للمجمع العلمي العراقي 1926، فأستاذ للغة العربية وادابها في دار المعلمين العالية 1927⁽²⁾.

ومعروف الرصافي أقام دولة للشعر في القرن العشرين وولد اسمه بين الشعراء الافذاذ كالفرزدق وجريز وابي تمام والمنتبي. وديابجته ناصعه، وبيانه عذب، وقوافيه محكمة، ومعانيه بعيدة، وان اغراضه شملت السياسة والاجتماع والحكمة الرثاء والوطنية ووصف الطبيعة وسائر مواضع الشعر في عصر النهضة الحديثة⁽³⁾.

مؤلفاته:

طبع ديوان الرصافي او مرة في بيروت سنة 1910 برعاية محي الدين الخياط ومصطفى الغلايني⁽⁴⁾. واعيد طبعه ثانية عام (1931م) وكتابه الرؤيا قصة مترجمة عن نامق كمال 1909م، وكتابه (دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة 913م)، وكتاب (نفع الطيب في الخطابه والخطيب) وهي محاضراته في مدرسة الوعاظ في تركيا 1917م، الاناشيد المدرسية 1920م، وتمائم التربية والتعليم 1924م ودروس في تاريخ آداب اللغة العربية وهي محاضراته في دار المعلمين العالية 1928م، ومحاضراته الادب العربي 1924م، ورسائل التعليقات 1944م، على باب سجن ابو العلاء المعري 1946م. عالم الذباب 1947، اراء ابو العلاء المعري 1955، الادب الرفيع في بنوان الشعر وقوافيه 1956، نظر اجمالية في حياة المنتبي 1959، الادب العربي ومميزات اللغة العربية 1952م، وكتاب الشخصية المحمدية او حل اللغز المقدس، كتاب الاذن وبلادة دفع المراق في كلامهم اهل العراق، الرسالة العراقية.

(1) مير بصري، اعلام اليقظة الفكرية، مصدر سابق، ص66.

(2) المصدر نفسه، ص19.

(3) المصدر نفسه، ص70.

(4) مصطفى الغلايني 1886-1944: هو مصطفى ابن محمد سليم الغلايين، شاعر لبناني نحوي ومن الكتاب الادباء ولد وتعلم في بيروت ثم رحل الى مصر ودرس للشيخ محمد عبده 1903 ثم عاد الى بيروت 1908م أصدر مجلة النبراس ثم درس اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت 1914م ثم عين خطيب الجيش العثماني زار دمشق 1918م تطوع للعمل في الجيش العربي بقيادة فيصل ابن الحسين ثم عاد الى بيروت ثم سافر الى الاردن ثم عاد الى بيروت وعين رئيس المجلس الاسلامي اللبناني ثم بمنصب قاضي حتى وفاته نال عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق ومن كنيته (جامع الدروس العربية) وايريج الزهر، الاسلام روح المدينة، الثريا المضية في الدروس العروضية، ورجال المعلقات العشر، وعضة الناشين وليلا الجنار في سيرة المختار ونظرات في كتاب السفور والحجاب. موسوعة اعلام العرب، بيت الحكمة، ط1، ج1، ص556.

وفي كتابه الشخصية المحمدية ثارت عليه نائرة المتزمتين ورموه بالطعن بشخص الرسول (ﷺ) ونودي بين الجمهور بتكفر الرصافي ونفيه من العراق فكلفت الحكومة فهمي المدرس⁽¹⁾ بدراسة الكتاب وقد ساندته في محنته هذه . وبعد اكمال الدراسة الى مدير الاوقاف العام والذي كلفته الحكومة باستفتاء رأي العلماء في الموضوع جاء فيها (.. يحتوي كتاب الرصافي على ثلاثة فصول الفصل الاول في وحدة الوجود التي هي أساس التصوف أي الفلسفة الاسلامية فند الرصافي في هذا الفصل مزاعم زكي مبارك⁽²⁾. حول مصطلحات السادة الصوفية وشرحها شرحاً يزيل الشك والابهام ويزيد القارئ ايماناً بعظمة هذا المذهب وهذا المبحث الدقيق الفلسفي انما يفهمه اهله لا الذين يقتصر انشغالهم العلمي على كتب الجادة ولم يطرقوا باب الفلسفة. على ان مبادئ التصوف قد كانت مثار الفزع بين علماء الظاهر (أي الفقهاء) وبين علماء الباطن (الصوفية) منذ ان انتشر مذهبهم على اثر تعريب الفلسفة اليونانية في عهد المامون حتى ادى النزاع الى تكفير بعض المشايخ الصوفية واهانتهم. فلا غرابة فيما لو كانت تعليقات الرصافي في هذا الباب مبعث التحامل والانتقاد وبلي هذه التعليقات البحث عن الحق والباطل والخير والشر والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار في معرض مناقشة الدكتور مبارك.

(1) فهمي المدرس 1872-1944: هو محمد فهمي بن عبد الرحمن المدرس، ولد في بغداد، من اسرة تنتسب الى قبيلة الخزرج نزحت من الموصل واستقرت في بغداد، تتلمذ اولاً لوالده القاضي الشرعي في محكمة بغداد، ثم واصل تحصيله في المدارس العلمية وحلقات المساحة اتقن اللغة العربية كما جانب اللغات الشرقية واللغة الفرنسية مما هله لان يعين مترجماً لولاية بغداد عام 1910م، ثم اصبح مديراً للمطبعة ورئيس تحرير جريدة (الزوراء) البغدادية التي بدأ صدورها في 15 حزيران 1869م، وفي عام 1908 عين استاذاً في كلية الالهيات بجامعة دار الفنون وكلية الاداب في الاستانة وفي عام 1919م استدعاه فيصل بن الحسين الى دمشق ثم غادرها الى اوربا ثم قضى سنة ونصف كيعود الى بغداد، وفي عام 1924م عين اميناً لجامعة الى البيت التي تولى رئاستها فيما بعد 1930م. موسوعة اعلام العرب، المصدر السابق، ص402.

(2) زكي مبارك 1891-1952م: هو زكي عبد السلام بن مبارك ولد في قرية سنتريس بالمنوفية بمصر وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم انتقل بعدها الى الجامع الازهر بعد ان نال الدكتوراه في الادب من جامعة مصر 1924 عن رسالته (الاخلاق عند الغوالي) رحل الى فرنسا واطلع على الادب الفرنسي لينال الدكتوراه الثانية عن رسالته (النثر الفني في القرن الرابع) 1931م، بالرغم من الكفاح من اجل لقمة العيش ثم انظم الى جامعة فؤاد ونال الدكتوراه الثالثة 1937م، عن رسالته التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق انتدب للعمل مدرساً في بغداد عام 1937م. درس الادب العربي في دار المعلمين العالية، وترك ذكرى طيبة في العراق والف كتاب ليلي المريضة في العراق بثلاثة اجزاء وتلخص نشاطه في العراق في اربعة محاور التدريس، القاء المحاضرات في الندوات العامة، العمل في الصحف وكانت حصيلة اكثر من ثلاثين كتاباً اهمها (البدايع، ليلي المريضة في العراق، ملامح المجتمع العراقي، ذكريات باريس، وغيرها وهو ناقد واديب عرف بالمحافل الفكرية بعنف نقده، وقوة معارضته لمعظم قادة الفكر الادبي في مصر عن طريق معاركه الادبية وخصوماته مع (طه حسين) وله ديوان شعر من الناحية النقدية (الحان الخلود) توفي في حادث مؤسف يوم 23/1/1952م، قال عنه استاذة النقد في كلية الاداب بجامعة القاهرة مثل الدكتور بدوي طيانة بانه نم ن ادبانا الافذاذ ذو الشخصية المتميزة في كلمة والعقيق الذي كان بسلطة ليبسط رائه والنيل من خصومه في صراحة لا تعرف الرفق ولا المهانة حيث سلطه على كبار الادب من امثال طه حسين، والعقاد، واحمد أمين، وعبد الله عفيفي. موسوعة اعلام العرب، دار الحكمة، ج1، ط1، 2000م، ص196.

ومن المعلوم ان علماء الدين ذهبوا في هذه المسائل مذاهب شتى ومنهج المعتزلة والصوفية اذ لا يعقل ان رجلاً يدافع عن الاسلام والمسلمين وعن شخصية سيد الاولين والاخرين دفاعاً مجيداً ثم ينقض دفاعه المجيد بهفوة لا تغتفر، وبالاجمال لن يظهر لنا في تعليقات الرصافي ما يمس كرامة الدين...⁽¹⁾.

اقتنعت الحكومة انذاك لخلو الكتاب ما يمس الدين بسوء فقررت بشراء النسخ جميعها من الاسواق درأ للفتنة وفي كتابه الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع جاء في ديباجة ما يلي: (الحمد لمن لا حمد لغيره، ولا وجود لاحد سواه، والصلاة والسلام على من عرف قدر نفسه وأخلص النصيحة لابناء جنسه وبعد.

فقد ركبت بحور الشعر رهواً ومانجاً وافحمت منها كل هول براعياً

وسيرت سفني في طلاب فنونه والقيت في غير المديح المراسيا

قال الرصافي فيها (هذا ما قلته قبل خمسة وثلاثين عاماً ولم اخرج عنه فيما قلته من الشعر الى يومنا هذا. حتى قضت الايام ان اهجر بغداد الى معتزلي في الفلوجة قبل سبع سنين من كتابة هذه الرسالة التي كتبتها في ايام هذه الحرب الهتلرية وانا قابع في دار عزلتي ضحية لابائي كل ضيم وعدائي كل ظلم⁽²⁾. توفي الرصافي عام 1945م. وترك وراءه عدداً ليس بقليل من المؤلفات.

المبحث الثاني⁽³⁾

معروف الرصافي ومواقفه الوطنية في العراق

وقف معروف الرصافي كبقية الوطنيين الوطنية في العراق ببسالة ووطنية مشهودة وشارك الوطن في معاناته وعاش المحنة أبان الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني للعراق والثورة العراقية الكبرى ثورة العشرين والحكم الملكي وكان له مواقف وشواهد ورى خلدتها التاريخ للشاعر والأديب الرصافي من خلال استنهاض الهمم والمطالبة بالثورة على ظلم البريطانيين والقيام بحملة لتوعية وتنقيف الشعب ضد نوايا الاستعمار والمطالبة بارجاع حقوق الشعب المختصبة. وكان للرصافي في كل مجالات الحياة مواقف وأدوار وسنذكر هنا مواقفه السياسية مثلاً قال في الزعامة⁽⁴⁾: (إذا تصورنا الزعامة بأسمى معانيها جزمنا بأنه لايد للزعيم من صفات تؤهله للزعامة. منها كونه السيد المحترم والأمر المطاع والناصح المخلص والمرشد الخبير الهادي الى طريق الارشاد، والمتقاني الذي ينسلخ من نفسه في مصلحة قومه، والصادق الذي تشردق أقواله الاعمال والهمام والمقدام الذي يقتحم في مصلحة قومه المهالك والاهوال. فضلاً عن ذكر صفات المزعوم إذ قال: (.. وان يشترط في المزعوم عليهم فهو ان تجمعهم تحت لوائه فكرة سامية وغاية عالية تكون أما من وحيه اليهم او من وحي غيره اليه ثم اليهم، ولا فرق بين ان تكون تلك الفكرة دينية أو وطنية، أو قومية أو نحو ذلك من مثل أعلى وغاية تصدى)، وراية في الشعب المزعوم عليهم فهم في جميع أمورهم متجهون نحو تلك الفكرة السامية وينضمون اليها ويتخذون تحت لوائها حتى تتكون فيهم وحدة لا تقلها الارزاء، ولا تفرقها الاهواء. والا فلا معنى للزعامة على اخلاط من الناس لا تجمعهم جامعة ولا تقودهم فكرة ولا توحدهم غاية⁽⁵⁾.

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، ص227.

(2) المصدر السابق، ص228.

(3) معروف الرصافي: الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع، ص39.

(4) المصدر السابق، ص39.

(5) معروف الرصافي: الرسالة العراقية، ص41.

فالزعيم أول ما يجب ان يسعى اليه هو جمع كلمتهم وتوحيد قلوبهم وتوجيههم الى غاية معلومة وخطة مرسومة عندئذ تتم الزعامة عليهم فينهض بهم الى ما يريد⁽¹⁾ فضلاً عن قوله: (ليست الزعامة ثوباً لبسه الناس من اردوا، ولا تاجاً يضعونه على رأس من احبوه وانما هي مما تأتي به الاقدار وتتمخض به الاجيال وتتجيه الاصلاب والارحام). فضلاً من أنها هبة من خوارق العادة في نظر الناس وسجاياهم ولا بد لظهورها من اسباب غير اعتيادية. وان صفاتها الازمة قد تكون كامنه في بعض ابناء الامة فلا تظهر الا بحوادث تفوق العادة من صروف الدهر ونوازل الايام كالحوادث التي ظهرت بها زعامة مصطفى كمال في تركيا وزعامة هتلر⁽²⁾ في المانيا.

وفي جانب آخر انتقد بعض العادات والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك منها قانون العشائر الذي يعمل فيه بالفقرى والارياق العراقية وانشأوا تم تنفيذ احكامه في المدن أيضاً ذلك القانون الذي ظلم المرأة العراقية ظملاً كبيراً من ناحية الزواج والطلاق ورفض المنازعات من خلال اكرام المرأة بين المتخاصمين حيث اعتبروها من المال الموروث. كما انتقد معروف الرصافي نظام الاقطاع في العراق والذي وصفه قائلاً: العراق اليوم بمثل العصور الاقطاعية بأشوه وجوهها السود، واقبح صورها المنكرة، حيث ترى فيه من يملك الآلاف الفدادين من أراضيها التي تسقى سحياً (بواسطة المضخات)، وترى في ملكه الواسع العظيم ألوفاً من الناس يكدون له ويكدحون، ويحرثون ويزرعون. وليس لأحدهم من مواقف الحياة سوى ثوب اسحال ورغيف خشكار. وترى صاحبهم في نعيم سابع وعز باذخ وشرف شامخ يقضي اوقاته في عيش رغيد ورقص ولهو من كد هؤلاء المدققين الذين يتجرعون كؤوس البؤس والشقاء⁽³⁾.

وقد كان للاقطاع اثر كبير في عهد الدولة العثمانية فجاءت الحكومة العراقية فقوته بقانون التسوية. وهي في الظاهر تريد بهذا القانون حسم ما يتعلق بالأراضي من منازعات ومخاصمات بين الناس. فيقتضي احكام القانون المذكور فألفت لجان رؤساؤها اجانب وبقيت هذه اللجان في أول عهدا يرأسها رجال من البريطانيين أكثر من عشر سنين ثم صار يرأس بعضها عراقيون. أما جعل روساء هذه اللجان من البريطانيين فهو في الظاهر شيء تبرعت به الحكومة العراقية وليس هو في الباطن تبرعاً بل كان بطلب من البريطانيين انفسهم إذ هم يريدون بهذا القانون تثبيت سياستهم الاستعمارية باعطاء من والاهم وحرمان من عاداهم. وليس هناك وسيلة الى ذلك احسن من الاخذ بالنظام الاقطاعي في العراق بواسطة هذا القانون. وكذلك فعلوا⁽⁴⁾. مما سمح للبريطانيين بالتدخل وخلق الفتنة فان البريطانيين الذين رأسوا هذه اللجان قد اعطوا من

(1) معروف الرصافي: الرسالة العراقية، ص40.

(2) هتلر: هو اودلف هتلر ولد في العشرين من نيسان عام 1889م في قرية بروتو التابعة للنمسا وهي قرية صغيرة تقع على الحدود النمساوية- الالمانية، وكان والده موظفاً في الكمارك، وكان شديداً قاسياً ساق حياته البيته في كثير من العنف، وكان مغرماً بمركزه وملابسه الرسمية، لذلك هتلر لم يكن يميل اليه بل كان قريب من والدته عطوفاً عليها وحمل صورتها اثناء الحرب العالمية الثانية نساء في احضانها الهادئة الكبيرة، وعندما دخل المدرسة لاحظ معلموه واساتذة انه ان نشاطاً وذكياً يستوعب الدروس بسرعة مذهشة وغريبة، وانه صعب المراس، كثير الاعتداد بالنفس وقد تزعم زملائه في المدرسة، وكان على خلاف دائم مع والده بسبب حبه للرياضة والرسم والصيد وكان والده لا يرغب هذه المهن دائماً يريد ان يصبح موظفاً فكان اصل هذا الخلاف المستمر بينهم. وفي عام 1903م توفي والده واصبحت امه المسؤولة المباشرة عنه وكان لها اثر كبير في تربيته وفي عام 1907م توفيت والدته فاثرت في نفسه كثيراً ترك القرية وتوجه الى فيينا التي انبهر بعماراتها ومطاعمها ولا يجد احد يعرفه فيها فساح في شوارعها وقام في طرقها والمقاعد العامة والحدايق وعرف الجوع والفقر فيها، كره الاغنياء واصحاب رؤوس الاموال، شارك الشباب الالمانى بالمظاهرات العديدة. عمر ابو النصر اسرار هتلر، ط1، بيروت، 1967، ص27-33.

(3) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص46.

(4) المصدر السابق، ص50.

شاعوا وحرّموا من شاعوا حسب ما اقتضته سياستهم الاستعمارية فاصبح الذين هم عبيد البريطانيين من أكبر الملاكين في العراق.

ولم تخجل الحكومة العراقية من دعوى الاستقلال وهي ترى هذه اللجان بحكم رؤسائها تثبت في العراق نظام الاقطاع على وجه لم يسبق له نظير في التاريخ. فضلاً عن نقده للقوانين والانظمة السائدة في البلاد آنذاك فقال: (لقد ادركنا الدولة العثمانية في عهدها الاخير، وقد رأينا باعيننا ما كان فيها من امراض. فكان رجال الدولة من الوزراء وغيرهم لا تهمهم الا أنفسهم وكان أحدهم لا يطلب المنصب الا ليتوصل به الى منفعته الخاصة دون المصلحة العامة. وكانت الرشوة فاشية فكان الصلوك إذا تسنم منصباً فلا تمر عليه أيام إلا وقد اصبح من أهل الثراء. وكانت الأمور لا توسد الى أهلها. فلا الكفاية ولا المقدرّة ولا الاستقامة ولا الصدق والامانة كل ذلك لا عبرة له في توسيدها. وانما توسد بأحد عوامل ثلاثة: ((المنسوبة)) أو ((المحسوبة)) أو ((الرشوة)). وهناك عامل رابع وهو ارضاء طائفة من الطوائف وما أكثرها في الدولة العثمانية. فضلاً عن المسيحي لم يكن وزيراً في ذلك العهد الا ارضاء لطائفته. وفلان الكردي لم يكن ((مشيراً)) الا ارضاء لطائفته من الاكراد⁽¹⁾.

وكانت قوانين الدولة وانظمتها في ذلك العهد غير نافذة الاحكام الا على الضعفاء كما انها كانت آله بيد رجال الدولة يهلكون بها من عاداتهم وينعشون من الهم. وكانت هذه الحالة المحزنة سبباً كبيراً من أسباب فساد الاخلاق العامة، فكان التزلف الى أهل المناصب من رجال الدولة بالتملق وأظهار العبودية لهم عادة مسحنة وخلقتنا مرضياً عند عامة الناس، وكان التجسس لهم من دلائل الصدق في المودة. وكانت الغيبة والنميمة من قوانين الأمور بين الناس الى غير ذلك من المفاسد التي كانت بها الدولة تسير آخر شوط من حياتها.

هذا عدا ما كان من الضغط على حرية الافكار وحرية الصحافة والنشر وحرية الاجتماع. فالأفواه مكمومة والصحف مسيرة مأجورة والحرمان الشخصية منتهكة والبيوت غير مصنونة.

وعن كيفية تشكيل الوزارة في العراق قال: (ان الحكومة العراقية تعترف بوجود ثلاثة عناصر في العراق عدا الاقليات الصغيرة. وهم العرب والكردي والترك، وهؤلاء كلهم مسلمون. وقد اعتبر غيرهم من نصارى ويهود اقلية)⁽²⁾. ولو كانت الحكومة العراقية حرة في جميع أمورها لاعتبرت من في العراق من الناس كلهم عراقيين فحسب وحينئذ تكون هي حكومة وطنية بحق كما جرت به تسميتها بالحكومة العراقية.

لأن العراقية وحدها هي مناط سلطة الحكومة على أهل العراق. فدافع الضريبة إنما يدفعها لكونه عراقياً فقط لا لكونه عربياً أو كردياً أو تركياً، ولا لكونه مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً. فمتى كان الشخص عراقياً كان داخلياً تحت سلطة الحكومة العراقية من أي قوم كان وبأي دين دان.

وبالعراقية وحدها يندمج أهل العراق في الدولة العراقية وتسلمهم قوانينها ويشتركون في خيرها وشرها). والحكومة العراقية فلا هي من هذا ولا هي من ذلك. بل اعتبرت أهل العراق ثلاث عناصر فكان من لوازم ذلك ان تؤلف الوزارة من العناصر الثلاثة من يوم ألفتها البريطانيين على هذا الوجه عقب الثورة العراقية الى يومنا هذا⁽³⁾. والبريطانيين معزورون في تأليفهم أيها على هذا الوجه لأن مصلحتهم الاستعمارية تقتضي ذلك⁽⁴⁾.

حتى انهم لم يكتفوا بتلميع الوزارة بهذه الالوان بل تجاوزوها الى تلميع الحكام أيضاً بالوان طائفية حيث ادخلوا في القانون الأساسي ما يستوجب اعتراف الحكومة العراقية بالمحاكم الخصوصية واعتبارها محاكم رسمية. والمراد بالمحاكم

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص 61.

(2) المصدر السابق، ص 71.

(3) المصدر السابق، ص 85.

(4) المصدر السابق، ص 89.

الخصوصية مالىهود وللنصارى من المجالس الروحانية الخاصة بهم. ان هذا التنوع في المجتمع العراقي قد أستفادت منه بريطانيا فبدأت تبث روح الفرقة بين الشعب الواحد وقد ذكر لنا معروف الرصافي احد اساليب التفرة قيام السفارة البريطانية بنشر عدة رسائل يتم توزيعها مجاناً على الشعب ومن هذه الرسائل رسالة عنونها: (التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية) لمؤلفها (نجاتي صدقي) والمطبوعة في بيروت قال معروف الرصافي فيها: (وقفت على هذه الرسالة فرايتها تحتوي على رذالة في سفاله، وتشف عن دناءه وجهالة. وقد اشمازت نفسي من وقاحة كاتبها أي اشمتازت فرأيت ان اعلق عليها بعض تعليقات تزدلها وتبين للناس زيفها بما عسى ان ينتفع به من يقف عليه من أبناء الشرق عامة والمسلمين خاصة. وقد أثبتت هذه التعليقات في هذه الرسالة العراقية لأنها تشتمل على مباحث ذات صلة بالعراق بما فيه اليوم، وقبل الشروع في الموضوع أقول: ان (نجاتي صدقي)، مهما يكن فكلامه يشف عن رياء في نفسه، ولؤم في طبعه، وأفن في عقله. ولا ريب ان توزيع هذه الرسالة مجاناً على الناس من قبل السفارة البريطانية يدل بوضوح على ان تأليفها وطبعها ونشرها لم يكن الاعلى حساب الدعاية البريطانية التي توسعوا في الاتفاق عليها من أجل هذه الحرب التي امسوا منها في يوم عصيب. فمؤلفها أجبر لا محال، والاجبر لا يكون حراً، لأن الحرية لا تأكل بثديها كما جاء في الامثال العربية⁽¹⁾.

ولو لم يكن انتصار هذا الاجبر لدولتي بريطانيا وفرنسا على النازية الالمانية واقعاً منه باسم دين الاسلام لقدرناه وقلنا مضطر بأكل جيفة. ولكنه أخذ الاسلام آله لانتصاره للطغاة الظالمين فهو من هذه الناحية كذاب اثم لا يقبل منه صدق ولا عدل، كتب هذا الاجبر في أول كتابه هذه الجملة ((الى ابناء الشرق الذين يقاثلون في الجبهة الغربية اقدم كتابي هذا)).

فقول: ان هؤلاء الذين يقدم اليهم هذا الاجبر كتابة لكي يضلهم هم ابناء الشرق المستبدون من أهل المستعمرات التي تثن تحت كابوس دول الغرب. وإذا سأل سائل لماذا يقاثلون في الجبهة الغربية من بلاد أوروبا لم يكن الجواب الا ان الدول التي استعبدتهم واستغلت بلادهم تجندهم وتسوقهم مكرهين الى الحروب الدامية. وتجعلهم في الصفوف الاولى من جيوشها ليكونوا أول طعمة لنيرانها الجهنمية. وهم لا في العير من هذه الحروب ولا في النفير. وانماهم فيها اما ان يموتوا لا لشيء واما ان ينتصروا فيقوا بانتصارهم استعبادهم ويتوثق للدول الغربية اسارهم. فالى هؤلاء يهدي هنا للعين كتابه. لماذا؟ ليزيدهم اقداً على الموت في سبيل مستعبيهم⁽²⁾.

كما ذكر الاسباب التي جعلت دول الغرب يشنون الحرب على بلاد الشرق قائلًا: (اما الحقيقة في معرفة الاسباب التي جعلت دول الغرب يتسارعون في حربهم هذه والتي قبلها وفي سائر حروبهم الماضية فهي انهم يريدون استعمار بلاد الشرق، وتسخير أهلها لمنفعتهم والاستئثار بخيراتها عليهم. فهم يتطاحنون في حروبهم من اجل هذا. وقد انتزعوا من المانيا المغلوبة في الحرب الماضية مستعمراتها، وجردوها من مرافقها، وقطعوها أو صالاً كما اشتهته منافع الغالبين. فلذا قامت اليوم المانيا في هذه الحرب تغالبهم لاسترداد ما اغتصبوه منها، وللتغلب على ما في ايديهم من المستعمرات التي استأثرت بها بريطانيا اكثر من غيرها من الدول الأخرى.

فحروبهم كلها لا تدور رحاها ولا يصطخب وغاها الا لأجل استعباد أهل الشرق واستعمار بلادهم. فألمانيا لم تحمل السلاح الا لهذا، وبرطانيا لم تحمل السلاح إلا لأجل بقاء هذه الممتلكات العظيمة في قبضتها قهراً وقوتاً، فلجنة الله على الظالمين أجمعين).

وأضاف قائلًا: (نحن معاصر الشرقيين من عرب مسلمين وغيرهم فمن الواجب علينا في هذه الايام العصبية ان ننظر الى هؤلاء الذين استعبدوا بلادنا واستأثروا بخيراتها دوننا وتحكموا في امورنا وقيدوننا بقيود ثقيلة منهكة سموها معاهدات، فجعلونا بها لا نخرج قيد شعرة عن كل ما تقتضية مصلحتهم في بلادنا وفي غيرها ولو كان ذلك مضرًا بنا

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص 91.

(2) مصدر سابق، ص 125.

ومخالفا لمصلحتنا. ومفروض علينا فقالوا لنا: أنتم مستقلون، كأن الاستقلال شيء يلفظ بألسنتهم لفظاً فقط، فنقول امتثالاً لهم ونحن في قبضة جهنمية من اسرهم حيث انفقوا الملايين فبنوا لهم في بلادنا المعسكرات ومن القواعد الجوية ما يستطيعون به ان يجعلوا بلادنا هباءً منثوراً في ساعة من نهار هذا عدا ما تدسه ايديهم الخفية بيننا من دسائس، وما تدبره من مكائد وما تمده من أحابيل. نعم! يجب علينا والحالة هذه ان ننظر اليهم في هذا اليوم العصيب الذي هم فيه محتربون من اجل استعمار بلادنا نظر المظلوم الى ظالمه الذي قد امكنت الفرحة منه. فنقوم في وجوههم ثائرين في سبيل حرياتنا المنهوبة وحقوقنا المغصوبة⁽¹⁾. وعن رأيه في سياسة بريطانية في العراق قال: (يمتاز الساسة البريطانيون عن غيرهم من ساسة أوربا بانهم لهم مهارة باهرة في الخداع والتموية، وقدرة قادرة على التضليل والتغريب خصوصاً على الشعوب المستضعفة التي لا قبل لها بهم، حتى ان احدهم يستطيع ان يأخذ من الأرض حجراً فيضعه في يدك ثم يكلمك بما يجعلك تعترف بأن هذا الحجر ذهب ابريز. خصوصاً إذا كنت ضعيفاً قد اوقعك الدهر في اسرهم. فإنهم حينئذ يموهون عليك بكلامهم من جهة. ويظهرون لك ما عندهم من قوة فتاكة من جهة أخرى حتى يلجئوك ان تقول لهم: ان هذا الذي وضعتوه في يدي هو ذهب ابريز، ثم ان ساسة بريطانية فضلاً عن امتلاكهم من المهارة في الخداع والتموية لا يجرون في سياستهم الاستعمارية على العاطفة بل على العقل والنضر البعيد، وعلى ما تقضية المصلحة ولو كان فيه ما ظاهره غير موافق لها. فلذا تراهم لا يغضبون ولا يشتمون إذا تظاهر اسيرهم بأنه حر مطلق ما داموا يعلمون بأنه من قبضة اسارهم. وبالجملة انهم لا يهتمون بالقشور وانما همهم اللباب وماذا يضرهم ان يهتف اسيرهم بأنه حر مطلق وهم يرونه مكبلاً في قبضتهم)⁽²⁾.

المبحث الثالث

نماذج من شعر الرصافي السياسي

شارك معروف الرصافي ابناء العراق في كل احوالها منذ سيطرة الدولة العثمانية وقيام الحرب العالمية الأولى وثورة العشرين وتتويج الملك فيصل فضلاً عن الحرب العالمية الثانية وكان لكل هذه الاحداث مواقف تذكّر للشاعر معروف الرصافي. فعن وضع الحكومة العثمانية الاستبدادي وقال قصيدة بعنوان تنبئة النيام⁽³⁾.

اما أن ان يغشى البلاد سعوها	ويذهب عن هذي النيام هجودها
متى يتأتى في القلوب انتباهها	فينجاب عنها ربتها وجمودها
أما اسد يحمي البلاد غضنفر	فقد عاث فيها بالمظالم سيدها
برئت الى الاحرار من شر أمة	اسيره حكام تقال قيودها
سقى الله أرضاً أمحلت في اماتها	وقد كان رواد الامان ترودها
وأضاف قائلاً:	
بني وطني مالي أراكم صبرتم	على نوب أعياء الحصاه عديدها

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص13.

(2) مصدر سابق، ص 144.

(3) مصطفى علي، ديوان الرصافي، ج3، وزارة الاعلام العراقية، دار الحرية، بغداد 1975، ص70.

أما اذاكم حمل الهوان فإنه
 قعدتم عن السعي المؤدي الى العلا
 ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده
 الم تروا الاقوام بالسعي خلدت
 وساروا كراماً داخلين الى العلا
 إذا حملته الراسيات يؤودها
 على حين يزرى بالرجال قعودها
 فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها
 متأثر يستقصي الزمان خلودها
 بأثواب عز ليس يبلى جديدها

قال قصيدة بعنوان (الحق والقوة) نظمها في دمشق سنة 1919 على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى وما أصاب الأمة العربية من ويلات جاء فيها⁽¹⁾:

أرى الحق لم يفش البلاد وانما
 مشى ضارباً في الأرض تلفظه الطرق
 فيصبح في أرض ويمسي بغيرها
 وحيداً فما يؤويه غرب ولا شرق
 توطن قعر الأرض متبعدا بها
 الى حيث لا انس ولا طائر يزقو
 وقد يهبط الامصار وهو محجب
 ويظهر احياناً كما اومض البرق
 ومن عجب ان السورى يدعونه
 وهم من قديم الدهر اعداؤه الزرق
 اعدوا له في البر والبحر قوه
 إذا ظهرت ينسد من دونها الافق
 وطاروا بطيئاراتهم يمطرونه
 قذائف من نار عما امطر الودق

وفي نقده للوزارة المشكلة في عام 1921 والمؤلف من وزراء يشغلون كراسي الوزارات سماهم وزراء بلا وزارات. قال قصيدة بذلك بعنوان (الوزارة المذنبية)⁽²⁾:

دار ذا الدهر مدارة
 فـراى النـاس ازورارة
 كل فعل الدهر فعل
 فيه للحـر اسـارة
 أهـل بـغـداد افـيقـوا
 من كـرى هـذه الغـرارة

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص 78.

(2) المصدر السابق، ص 115.

كانوا قد شهروا اقلامهم اثناء الحرب في الطعن بجلالة والدكم وقد شملتموهم بانظار الصفح والعمو جميعاً وما ادري ما الذي استوجب استثنائي منهم واستمرار غضبكم علي من دونهم). وجاء في القصيدة بعنوان (ثالث ثلاثة)⁽¹⁾.

هي النفوس وان لم تبلغ الحما مطبوعة الطبع ان لوما وان كرما

تجري على ما اقتضاه الطبع جامحه وان لغير منها نصحك الشيما

قد كنت احسب ان اللوم اجمعه على الحسنين في مصر قد انقسما

حتى بدت مخزيات اللوم مشركة من الحجاز حسين ثالثاً بهما

وفي قصيدته حكومة الانتداب، والتي نظمها في عام 1930 في حكومة نوري السعيد والتي كانت مهيأة في التوقيع على المعاهدة البريطانية جاء فيها⁽²⁾.

انا بالحكومة والسياسة اعرف اولام فني تقنيدها واعتق

هذه حكومتنا وكل شموخها كذب وكل صنيعها متكلف

وجهان فيها باطن متستر للاجنبي وظاهر منكشف

وعند سقوط وزارة ياسين الهاشمي في الانقلاب الذي قاده بكر صدقي في 29 تشرين الأول 1936 قال قصيدة في ذلك⁽³⁾.

لا تأمنن دنياك في حاله مهمما تكن زاهيه زاهرة

وانظر لعقبى وزراء مضوا كيف عليهم دارت الدائرة

باتوا على النعماء في ليلة شات عليهم في صبحها ثائرة

وفي قصيدة أخرى حيا مصر العربية عندما زارها وفد من الحكومة العراقية في عام 1936 وقد شارك في ذلك الوفد بصفة نائب فلقى قصيدة جاء فيها⁽⁴⁾.

مني الى مصر ذات المجد والحسب تحية ذات ود غير منقط

تولي به دجلة للسنا عن دقه منها الى النيل رب الشعر والخطب

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص59.

(2) المصدر السابق، ص167.

(3) المصدر السابق، ص181.

(4) المصدر السابق، ص198.

إذا العروبة حلت عرش دولتها فمصر تاج لها قد صبغ من ذهب

وفي قصيدة قل لسليمان⁽¹⁾ وهو سليمان الشيخ داود المحامي نائب عن لواء بغداد آنذاك تحدث في جلسة مجلس النواب في يوم الأحد 19 نيسان 1942 ألقى خطبة مدح بها الحليفة بريطانيا، والمعاهدة العراقية- البريطانية ومدح حرية الصحافة في ظل الاحتلال والانتداب وشم ثورة مايس 1941 وثوارها والذي وصفهم بأنهم اهانوا القوانين وزعزعوا الأمن ومدح الوصي واثى على ادارته وحزمه وصلابة ايمانه الوطني والقومي. فلقى قصيده الرصافي في ذلك جاء فيها:

قل لسلمان بعد ما كان حراً كيف جاز رقبه والاسار

ان ما قلته من القول هجر منكـر لا تقولـه الاحـرار

وطن المرء عرضه وهواه وعلى العرض كل حر يغار

ارذل الناس من يقوم عليهم اجنبي في امرهم يستشار

وفي وصفه البريطانيون وسياستهم الاستعمارية لقصيدة نشرها عام 1941 جاء فيها⁽²⁾:

لقد جمع الدهر المكاييد كلها بقدر كبير صبغ من معدن الخشبت

وصب عليها من يثار حروفه سجالاً من الكذب المحوة والحـرث

الى ان جاء فيها:

كأنهم والناس عث وصونه وهل يستقيم الصوف في عيشه العش

الخاتمة

من خلال ما تقدم يمكن القول لقد كان الشاعر والأديب معروف عبد الغني الرصافي أحد أبناء عصره والذي كان قد شهد احتدام الصراع بين العثمانيين والبريطانيين على العراق، والذي انتهى في نهاية المطاف بسيطرة البريطانيين على العراق ووضعه تحت الانتداب البريطاني، وقد رفض الرصافي منذ صباه الاستعمار مهما تعددت اشكاله والوانه، ولقد كانت حياته حافلة بالجهاد والكفاح الوطني والقومي المتواصل، فقد ظل الرجل طيلة حياته مكافحاً يحمل هموم وطنه وامته في قلبه وداعياً الى الخير والحق لايبالي لومة لائم.

وقد توصلنا في نهاية هذا البحث الى الاستنتاجات بعد ان تعددت سوح كفاح هذا الرجل وكما يلي:

1- في مجال التربية والتعليم دعى الشعب كل الشعب للتعلم وأكد ان بالعلم يهزم الاستعمار ونصون الوطن ودعى الى تعليم أبناء الجيل التاريخ الوطني والقومي المشرف للعراق والأمة العربية الاسلامية، وكما دعى الى التمسك بالعادات والتقاليد العربية الاصيلية.

(1) معروف الرصافي، الرسالة العراقية، المصدر السابق، ص20.

(2) المصدر السابق، ص240.

- 2- دعى الى حرية الكلمة والصحافة وان تأخذ وسائل الاعلام على عاتقها توجيه الشعب توجيهاً صحيحاً في ترسيخ وحدة العراق والأمة العربية متمثلة لمعاني الشجاعة والبطولة والفداء، مترفعاً عن الروح المذهبية والطائفية والتي كثيراً ما دخل منها المستعمر ليهدم فيها وحدة صف المسلمين.
- 3- كما وسعى الرجل الى ضرورة اصلاح النظام والدستور بما يوفر مناخاً من العدل والمساواة ورفض نظام الاقطاع الذي كان سائد في البلاد.
- 4- ولم يأل الرصافي جهداً في تنبيه قادة الأمة ال خطورة القيادة وضرورة ان يعي المسؤول ان القيادة أمانه في يديه وان صمام امان القيادة في معرفة المسؤول لجوهر ومبادئ الدين والشعور بالمواطنة والمسؤولية.
- 5- وقد ظل الرجل مدافعاً صلباً في ساحة الجهاد القومي والوطني داعياً من خلال الشعر العراقيين والعرب والمسلمين حكماً ومواطنين الى المخاطر التي تهدد الأمة والتي يكمن اغلبها في الفرقة والتناحر ودعا مراراً الى ضرورة وحدة الأمة لأنها السلاح الذي يرهبه الاعداء ودعا لوحدة الأمة ولنصرة الضعفاء.